# الداء الفتاك وداعي الهلاك

# الهوى

أزهري أحمد محمود

مصدر هذه المادة :






**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله تعالى مالك الرِّقاب.. وواهب العطايـا الرِّغـاب. والصلاة والسلام على النبي الهادي إلى الصواب. وآلـه الأماجـد والأصحاب.

**وبعد:**

**أخي المسلم:** إن كرامة هذا الإنسان بنعمة الهداية إلى الإسلام لمن أعظم النِّعم التي تستحق الشـكر لله تعـالى.. وكيـف لا؟! والإسلام فرق الله به بين الحق والباطل.. والهدى والضلال.. فكان الناس فريقين.. مسلم وكافر..

**أخي:** تلك النِّعمة كغيرها من النَّعم إذا قام العبـد بشـكرها بُورك له فيها.. وإلا انتقص من حظه منها بقدر تفريطه.

**أخي:** إنَّ هدى الله تعالى ودينه الحق تشريع كامل جعل الله فيه السعادة والهناء لمن تمسك به.. والناس في هذا ما بـين مسـتكثر، ومقل.. وأسعدهما المستكثر الذي جعل الإسلام منهجًا له في حياته كلها..

**أخي:** ما أسعد هذا الإنسان يوم يجعل هذا الدين شعارًا له في أموره كلها.. ولكن قليل أولئك الذين صـدقوا في التعامـل مـع أخلاق وآداب الإسلام السَّامية..

**أخي:** هل وزنت نفسك يومًا بميزان الهدى الإلهي؟!

أو هل عرضتَّ نفسك يومًا على التشخيص السماوي؟!

**أخي في الله**: ما أكثر الأدواء والأمراض، وما أقـــل الصـــحة والعافية، أمراض حار فيها الحكماء.. واستعصى علاجهـــا علـــى العلماء..

**أخي**: أتدري أي أمراض هذه؟!

إنها أمراض القلوب وأدواؤها المزمنـــة.. أهلكـــت العبـــاد.. وانتشرت نيرانها في الحاضر والباد.. وتطاير شررها في كل واد..

**أخي**: ولكن قليل أولئك الذين عرضوا أدواءهم على المعالج.. والأكثر غافل عن العلاج حتى استفحل الدَّاء.. وانتشـــر الـــبلاء.. فحار الطبيب.. ووقف الأريب..

**أخي**: داء القلوب أدْوَى الأدْوَاء.. كما أن شـــفاءها أهنَـــى الهَنَاء..

**أخي**: كثيرة تلك الأدواء التي رانت على القلـــوب.. ولكـــن العجب أخي من أصلها ومنبعها فذاك هو الداء الأعظم، مَدَّ فيضانُهُ فأهلك الخلائق.. وأكثر الفساد.

**أخي**: ذاك هو الهوى! الهوى! الـــدَّاء الخطـــير.. والســـرطان المستطير.. داعية المعاصي.. وبريد الشُّرور العَوادي..

**أخي**: بأي وصف أصف لك الهوى؟! ألا يكفيك أخي ما قاله الشعبي رحمه الله: (إنما سُمِي الهوى هوى؛ لأنه يهوي بصـــاحبه في النار).

**أخي المسلم**: إنه الهوى.. الهوى.. يدلك اسمه على سوء أصله، فجميع معانيه تدور حول الشرور.

فالهوى.. يعني السُّقُوط!

فالهوى.. هو الوقوع في الشَّهوات المحرمة! وغيرها من المعـــاني الأخرى لأصل الشرور (الهوى!) ينبئك عن حقيقتـــه، أخـــي: إذا لامست أذنيك هذه الكلمة (الهوى!) فلا يذهبنَّ إلى فكرك معـــنى حَسَنٌ.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (ما ذكر الله عز وجل الهوى في موضع من كتابه إلا ذمَّه).

وقال الإمام ابن رجب رحمه الله: (والمعـــروف في اســـتعمال الهوى عند الإطلاق أنه الميل إلى خلاف الحق كما في قولـــه عـــز وجل: ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ **[ص:٢٦]** وقال: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴾ **[النازعات]**.

**أخي**: ذاك هو (الهوى!) كما وصفه لـــك العـــارفون.. وإن أحببت أخي زدتك به معرفة..

قالوا: (الهوى مَيْل الطبع إلى ما يلائمه) ابن الجوزي.

وقالوا: (الهوى: ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع) الجرجاني.

وقالوا: (وهو ميل النفس وقد يطلق ويراد به نفس المحبـــوب). الكفوى

**أخي في الله**: إن معركتك مع الهوى معركة حامية الوطيس، لا يخبو أوارها.. ولا تخفت نارها.. فالنفس دومًا تتمنَّـــى وتتطلـــع، وتلتمس المزيد من الملذات، وإن قيل لها: هذا حرام.

قالت: دعوني أجرِّبه.

ثم قالت مرة أخرى: دعوني.

حتى يكون الإدمان.. ويستعصى العلاج على المعالج!

**أخي**: نار الهوى نار لا تعرف البرودة والسكون؛ فكم أهلكت من أقوام! وكم أحرقت من قلوب!

والسعيد من أطفأها ببرد الطاعات.. وماء الصالحات.. قـــال رسول الله ﷺ: «**والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب**» رواه أحمد وابن ماجـــه/ السلســـلة الصحيحة: ٥٤٩.

قال رجل للحسن البصري: يا أبا سعيد أي الجهاد أفضـــل؟! قال: جهادك هواك.

وقال ابن المبارك في قوله تعالى: ﴿**وَجَاهِدُوا فِـــي اللَّـــهِ حَـــقَّ جِهَادِهِ**﴾ [الحج: ٧٨].

قال: هو جهاد النفس والهوى.

**أخي**: ألا تعجب ممن إذا أصابه المرض في بدنه أسرع إلى الأطبـــاء، يلتمس الدواء.. ولكنه مسكين إذا استحوذت عليه أدواء القلوب ومَـــدَّ سرطان الهوى خرطومه على قلبه! رأيته غافلاً عن الدواء والمعالجة.

يا الله، كم هذا الإنسان محروم وشقي يوم أن لا يدرك أيـــن سعادته؟! ولا يعرف أين صحَّته وعافيته؟!

**أخي**: إن لباس (الهوى!) لباس كريه ما تسربل بـــه أحـــد إلا وظهر قبحه وإن ارتدى صاحبه أحسن الثِّياب.

قال بشر بن الحارث رحمه الله: (اعلم أن البلاء كله في هواك، والشِّفاء كله في مخالفتك إيَّاه).

وقال ابن السماك رحمه الله: (إن شئت أخبرتك بـــدائك وإن شئت أخبرتك بدوائك، داؤك هواك، ودواؤك ترك هواك).

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله: (هواك داؤك، فإن خالفتَـــه فدواؤك).

**أخي المسلم**: حقًا، إذا حاسبت نفسك على خطراهَا وجدت أن كل بلية سببها (الهوى!).

**أخي**: كم وكم تدعو النفس صاحبها إلى هواها وشـــهواهَا، ولكن قليل أولئك الذين يحاسبوهَا.

قال بعضهم: (النفس كالشريك الخوان إن لم تحاسبه ذهـــب بمالك).

**أخي**: أرأيت إن دعتك نفسك إلى هواها.. هل أنـــتَ مـــن الواقفين لسؤالها ؟! أو أنت من المجيبين لندائها ؟!

**أخي**: وإن أشكل عليك أمران لا تـــدري في أيهمـــا يكـــون الصَّواب، هل أنت كحال من قال: (إذا أشكل عليك أمـــران، لا

تدري أيهما أرشد فخالف أقربهما من هواك، فإن أكثر ما يكــون الخطأ مع متابعة الهوى) ؟!

**أخي في الله**: إن داء (الهوى) لما كان عامًا في الأمم الســابقة فقد خشيه النبي ﷺ على أمته: «**إن مما أخشــى علــيكم بعــدي بطونكم، وفروجكم، ومضلات الأهواء**» رواه أحمد والطبراني في الصغير/ تخريج ظلال الجنة: ح١٤.

وكم كان الإمام ابن الجوزي صادقًا عندما قال: (رأيت الخلق كلهم في صف محاربة والشياطين يرمونهم بنبل الهوى، ويضــربونهم بأسياف اللذة!).

**أخي**: إن داء (الهوى!) تمكَّن من قلوب حتى أصبح هو دينــها الذي تصدر عنه. فغَدا الهوى عند هؤلاء إلهًا معبودًا! ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾ **[الجاثية]**.

قال قتادة رحمه الله: (إذا هوى شيئًا ركبه!).

**أخي**: أما وقفتَ يومًا عند هذه الآية: ﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَــاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِــلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ **[ص: ٢٦]**.

فهذا نبي من أنبياء الله تعالى عليهم الصلاة والسلام يحذِّره تعالى من الهوى وعواقبه الرَّديَّة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (إن ارتفع لك الخصمان فكان لك في أحدهما هوىً فلا تشتهِ في نفسك الحق له؛ لــيفلج علــى صاحبه، فإن فعلت محوتُ اسمك من نبوتي ثم لا تكون خليفتي ولا أهل كرامتي).

**أخي المسلم**: إذا استحوذت الأهواء على أصحابها خرجوا من عالم العقلاء.. فكانت الشهوات عندهم هي الغاية، فترى أحــدهم منهمكًا في لذَّاته لا يبالي على أي حال يكون ولا يهمه ما يقولــه النَّاس فيه.

قال الإمام ابن الجوزي: (فأمَّا مَن لا يبالي أن يُرى سكران ولا يهمه إن شُهِرَ بين الناس ولا يؤلمه ذكر الناس له بالسُّوء، فــذاك في عداد البهائم).

**إنَّ الهــوانَ هــو الهَــوَى قُلِــبَ اسمُــهُ**
**فــإذا هَوِيــتَ فقــد لَقِيــتَ هَوَانَــا**
**وإذا هَويــتَ فقــد تعبَّــدَكَ الهَــوى**
**تَخْضَــعْ لحِبِّــك كائنًــا مَــنْ كَانَــا**

**أخي**: أتباع الهوى والشَّهوات خذلان، ومباعدة عــن ســبيل الهدى والتوفيق.

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: (مــن اســتحوذت عليــه الشَّهوات انقطعت عنه مواد التوفيق).

وقال صفوان بن سليم رحمه الله: (ليأتينَّ على النــاس زمــان تكون همَّ أحدهم فيه بطنه، ودينه هواه).

**أخي**: إن صاحب (الهوى!) عبد لهواه وإن ادعى الحــريَّ، ولا أقبح من عبودية الهوى.

**ومــــن الـــبلاء وللـــبلاء علامـــةٌ**
**أن لا يـــرى لـــك عـــن هَـــواك نُـــزُوعُ**
**العبـــدُ عبـــدُ الـــنَّفْس في شَـــهَواته**
**والحـــــرُّ يشـــــبَعُ تـــــارةً ويجُـــــوعُ**

قال بعضهم: (لا نوم أثقل من الغفلة، ولا رق أملـــك مـــن الشَّهوة، ولولا ثقل الغفلة لم تظفر بك الشَّهوة).

**أخي**: إن صاحب (الهوى!) لضعيف الهمَّة.. واهن العزيمـــة.. كالذي يُقدَّمُ له اللحم فيأبى إلا العظم! إذ أن صاحب الهوى رضي لنفسه بذل الشهوات! مختارًا لها على عـــزِّ الفضـــائل والأخـــلاق الرفيعة!

وأشبه مثل لمن كانت تلك حاله تلك القصة التي يحكونهـــا.. قالوا: إن الكلب قال للأسد: يا سيد السباع غَيِّرْ اسمي فإنه قبيح.

فقال الأسد: أنت خائنٌ لا يصلح لك غير هذا الاسم.

فقال الكلب: فجرِّبني.

فأعطاه شقه لحم وقال: احفظ لي هذه إلى غدٍ وأنا أُغيِّر اسمك.

فجاع الكلب وجعل ينظر إلى اللحم ويصبر، فلما غلبته نفسه قال: وأي شيء باسمي وما كلب إلا اسم حسن! فأكل اللحم.

**أخي**: أين هذا ممن جاهد نفسه فاعتزل الشهوات وكان لـــه سلطانٌ على نفسه؟!

هذا هو سيد نفسه.. عالي الهمَّة.. عـــدو الهـــوى.. طالـــب الفضائل..

ومن كان ذاك وصفه فَحَري به أن يكون هو الحر حقًا، قـــال الإمام ابن القيم رحمه الله: (وإذا سلم العبد مـــن فتنـــة الشـــبهات والشهوات؛ حصل له أعظم غايتين مطلوبتين بهما سعادته، وفلاحه، وكماله! وهما: الهُدى والرحمة. قال تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آَتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ **[الكهف]**.

**أخي**: حقًا، إن ذلك هو السعيد في الدنيا والآخرة.

قال أبو سليمان الدَّاراني رحمه الله وهو يقف عند معنى قولـــه تعالى: ﴿ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ **[الإنسان]** قال: صبروا عن الشهوات.

**أخي في الله**: أليس من العقـــل أن تســـعى لإدراك الفضـــائل والكمالات السامية؟! وهل في دنيا الناس أنهـــم يســـمُّون طالـــب الشهوات البهيمية عاقلاً؟!

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: (فالعاقل من حفـــظ دينـــه ومروءته بترك الحرام، وحفظ قوتَّه في الحلال؛ فأنفقهـــا في طلـــب الفضائل من علم أو عمل، ولم يسمع في إفناء عمره، وتشتيت قلبه في شيء لا تحسن عاقبته).

**أخي**: إن العبد إذا قهر هواه.. وردَّ جيوش الهـــوى مهزومـــةً مفلولةً.. فذاك هو القوي حقًـــا.. وإن ضَـــعُفَ جســـمه.. ودقَّ عظمه.. فذاك أخي هو الذي يخافه الشيطان ويهرب من ظله.

قال مالك بن دينار رحمه الله: (من غلب شهوات الدنيا فذلك الذي يفرق الشيطان من ظله)

وسئل يحيى بن معاذ رحمه الله: من أصح الناس عزمًا؟!

فقال: الغالب لهواه!

وقال إبراهيم القصَّار رحمه الله: (أضعف الخلق من ضَعُفَ عن رد شهوته! وأقوى الخلق من قوي على ردِّها).

**أخي**: هل تدري أن من ترك شيئًا لله عوَّضه الله تعالى خـــيرًا منه؟!

فإن تارك الأهواء والشهوات لله تعالى سيفوز بأغلى عِـــوَض.. وأنفس غنيمة..

قال الإمام ابن القيم: (والعِوَض أنواع مختلفة وأجل ما يُعَوَّض به الأنس بالله، ومحبَّته، وطمأنينة القلب به، وقوته، ونشاطه، ورضاه عن ربه تعالى).

**أخي**: إذا دعتك النفس إلى هواها فقل لها: يا نفس إني تركته لله فلا تحاوليني فيه.

وقريبًا سترى يومها تباشير التوفيق والنجاح في دنياك.. وأما في الآخرة، فلك الأجر الجزيل، والرضوان الأكبر من الله تعالى.

وليكُنْ سلواك أخي في ترك الهوى تلك البشارة العظيمة الــتي بشَّر بها النبي ﷺ أولئك النفر: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلى ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبــه مُعَلَّق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليــه، وتفرَّقــا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال، فقال إني أخــاف الله، ورجل تصدَّق أخفى حتى لا تعلم شمالُهُ ما تَنفقُ يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**».

قال الإمام ابن القيم: (إنك إذا تأمَّلت السَّبعة الذين يظلهم الله عز وجل في ظل عرشه يوم لا ظل إلى ظله وجدهم إنما نالوا ذلــك الظل لمخالفة الهوى، فإن الإمام المُسلَّط القادر لا يتمكن من العدل إلا بمخالفة هواه، والشاب المُؤثر لعبادة الله على داعي شبابه لــولا مخالفة هواه لم يقدر على ذلك، والرجل الذي قلبه معلق بالمســاجد إنما حمله على ذلك مخالفة الهوى الدَّاعي له إلا أمــاكن اللَّــذات، والمتصدِّق المُخْفي لصدقته عن شماله لولا قهره لهواه لم يقدر علــى ذلك، والذي دَعَتْهُ المرأة الجميلة الشريفة فخاف الله عــز وجــل وخالف هواه، والذي ذكر الله عز وجل خاليًا ففاضت عيناه مــن خشيته، إنما أوصله إلى ذلك مخالفة هواه، فلم يكن لحَــرِّ الموقــف وعرقه وشدته سبيل عليهم يوم القيامة، وأصحاب الهوى قد بلــغَ منهم الحرُّ والعرقُ كل مبلَغ وهم ينتظرون بعد هذا دخول ســجن الهوى.)

**أخي**: وإنه لمن المناسب أن أُذَيل بدُرَّتَيْن ذلك الثَّوب الباهر الصنعَة الذي أبْدَعَ صِنْعَتهُ الإمام ابن القيم برائع عباراته.. وإليك الدُّرَّتَيْن..

**إذا طالبتـــك الـــنفس يومًـــا بحاجـــةٍ**
**فكـــــانَ عليهـــــا للقَبـــــيح طَريـــــقُ**
**فـــدعْها وخـــالف مـــا هويـــت فإنمـــا**
**هـــــواكَ عـــــدوٌّ والخِـــــلافُ صَـــــدِيقُ**

أخي المسلم: ذاك هو (الهوى!) أَلَسْتَ معي أخي أنـــه الـــدَّاء الأعظم؟!

أَلَسْتَ معي أخي أنه السَّرطان الذي انتشر شره؟!

أَلَسْتَ معي أخي أنه سبب كل مصيبة وشر؟!

أَلَسْتَ معي أخي أنه هو الذي أفسد الصَّغير والكبير؟!

أَلَسْتَ معي أخي أنه سبب الغفلة والإعراض عن الله تعالى؟!

أَلَسْتَ معي أخي أنَّ زواله سبب أكيـــد لانتصـــار الفضـــيلة والأخلاق الجميلة؟!

**أخي**: إن الهوى هو داء كما عرفته ولكل داء علاجه.. وها أنا أسوق إليك أخي وصفات علاجه كما نصح بها العارفون.

**أخي**: إن زوال سلطان دولة الهوى يبدأ معـــك أولاً: بـــالعزم الصادق، وهذا يحتاج إلى صبر، ومجاهدة، ويهوِّن عليك ذلك أخي:

* التفكر في أن الإنسان لم يُخْلَقْ للهوى وإنما هُيِّئ للنَّظـــر في العواقب والعمل للأجل؛ ويدل على ذلك أن البهيمة أكمل حظًا في نيل الشهوات! فلو كان ذلك فضلاً لما بُخِسَ حَق الإنسان منه.

* التفكر في الآفات القبيحة للهوى من مرض وقُبْح ذكر وغير ذلك.

* التَّفكُّر في انقضاء غرضه من هــواه، ثم التَّفكُّــر في الأذى الحاصل فيجده أضعاف ما ناله من الشَّهوة.

* التَّفكُّر ما لو وقع ذلك من غيره، ثم التَّفكُّر في عاقبة ذلــك فسيعلم ما في ذلك من الآفات.

* التَّفكُّر في مطالب الهوى فسيجد أن ذلك ليس بشيء ولكن عين الهوى عمياء.

* التَّفكُّر في عاقبة النَّصر على الهوى وما يعقب ذلك من عز النَّصر.

* التَّفكُّر في عاقبة ترك الهوى وما يناله من اكتساب الــذِّكر الجميل بين الناس، والأجر في الآخرة، والتَّفكُّر في عكس ذلك وما يناله متَّبع الهوى من سوء الذِّكر بين الناس والعذاب في الآخرة. ابن الجوزي/ بتصرف واختصار.

**أخي في الله**: إن هزيمتك لجنود الهوى طريقك لسلوك طريــق السعادة الحقيقية.. سعادة تجد لذَّتها في الدنيا، طمأنينة.. وسكينة.. وقُرَّة عين.. وسعادة دائمة في دار الخلود.. في جنَّات الله ونعيمــه المقيم ﴿ **وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَــوَى * فَــإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى** ﴾ **[النازعات]**.

وأيَّدني الله وإياك على غلبة الهوى.. وجعل مــأواي ومــأواك فردوسه الأعلى.. والحمد لله تعالى في الختام.. والصلاة على نبيــه وآله وأصحابه والسلام.